أوائل المسلمين
١٠
إسلام
أبى ذر الغفارى
بقلم
السّيد شحَاته

أوائل المسلمين

إسلام أبى ذر الغفارى

بقلم
السيد شحاته

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العَالَمين ، والصَّلاةُ والسلامُ عَلَى المبْعوثِ رحمةً للعَالمينَ ، وعلى آله وصَحْبِهِ ، ومن اهْتَدى بَهدْيهِ إلى يَوم الدِّين .

وبَعْد :

فَهذهِ صُورة صادِقةٌ بيْنَ يديْك أيُّها القارئ العَزيزُ . لصَفْوةٍ منَ الصَّحابَةِ الأجلَّاء الَّذين دخَلُوا فى دِينِ الله أفواجًا وضحَّوْا بالغالى والنَّفيسِ فى نَشْرِ هذه الدَّعوة المبَارَكة .

وقد جاءَتْ رائعةَ الأسْلوبِ ، قَريبةً إلى الأذهان .

والله نرجُو أن تكونَ مُفيدةً هادِيةً ، وأن يستَفيد منها كُلُّ مُسلمٍ لأنها مأخُوذَة من صفحات التَّاريخ الإسلامى العظيم .

والله ولىُّ التوفيق

جَاهِلِيَّةٌ عَمْيَاء

عاشَ العَربُ فى جَاهِلِيَّتِهِم قَبْلَ الإسْلامِ ، يَعبُدونَ الأَصْنامَ ، ويُطلقُون عَليها أسْماءً ، فَهذا صَنَمٌ اسمُهُ (مَناة) ، وآخَرُ اسْمُه (العُزّى) ، وثالِثٌ اسْمُه (هُبل) ، ورابعٌ ، وخَامسٌ .

كَما شَاعَ فِيهِم القِتالُ والحَرْبُ ؛ لأَتْفَهِ الأَسْبابِ ، وأَمْعَنُوا فى ارْتِكابِ المحَرَّماتِ : يشْرَبُونَ الخَمرَ ، ويلْعبونَ المَيْسِرَ ، ويَعِيشُونَ فى ظَلامٍ مِنَ الجَهْلِ والفَسادِ .

نُفُوسٌ طَاهِرةٌ

وسَوادُ اللَّيلِ لا يَستمِرُّ أبدًا علَى الكَوْن ، فَلا بُدَّ مِنْ خُطوطٍ للنُّورِ تَظْهر باهِتَةً ، ثمَّ تَنْفُضُ الظَّلامَ شَيْئًا فَشيئًا ، حتَّى يلْمعَ نُور وضَّاء .

فَلا عَجبَ إِذَنْ أنْ يَكْرَهَ جَماعةٌ مِنَ العَربِ هٰذِهِ الحياةَ الفَاسِدةَ ولَيسَ بمُسْتغْربٍ أن يَكْرهُوا مَا فيهَا مِنْ ضَلالٍ وجَهالةٍ ، ولَيس بِبَعيدٍ أنْ يَدْفَعُهمْ إحْساسُهمُ الطَّاهِرُ إلى نَبْذِ العَاداتِ القَبِيحَة ، الَّتى يَرَوْنَها فى قَومِهِم .

وفى يَومٍ جَمَعَتْ بَيْنَهم المصادقةُ ، فَقالَ واحِدٌ مِنْهم :

– ياقومُ ، تعلمُون – والله – ما قَوْمكُمْ عَلى حَقٍّ !

– لقَدْ أخْطئُوا دينَ أبيهم إبْراهِيم .
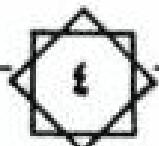
– حَجَرٌ نَعْكفُ عَلَى عِبادَته وهُو لايَسْمعُ ، ولاَ يبْصِرُ ، ولا يضرُّ ، ولا ينْفَع .

– ياقَومُ ، الْتمِسُوا هِدايةً لأنْفُسكُم ، واطْلُبُوا دِينًا صَحيحًا ، تَسيرُون عَلى مِنْهاجهِ ، فإنَّكُم – والله – لَستُمْ عَلى حقٍّ .

* * *

كانَ بعْضُ الأطْهارِ فى العَصْر الجاهِلىِّ ينْقلُ بعضُهُم إلَى بَعضٍ هَذا الحديثَ ، عَلى هٰذهِ الصُّورَة الَّتى تُريدُ أنْ تخْرجَ بهِمْ مِنَ الظُّلماتِ إلَى النُّور وكانَ مِنْ هؤُلاءِ الأطْهارِ رَجُلٌ صَاحِبُ عقلٍ وبَصيرةٍ ، هُوَ : جندبٌ الغِفارِىُّ .

جُندبُ الغِفارىُّ

مِنْ بنى غِفارٍ ، وأُمُّه رَمْلةُ بنْتُ رَبيعةَ ، مِنْ غِفارٍ أيضًا ، وقَدْ لُقِّبَ بأَبِى ذَرٍّ ؛ لأَنَّهُ كانَ لهُ ولدٌ ، اسْمُه (ذرّ) واشْتَهر بهِ ، ولَم يُذكَرْ إلَّا أنهُ (أبو ذرٍّ)

وكانَ أبُو ذرٍّ – رضِىَ الله عَنْه – مِنْ رِجالِ العِلْم المتَازِينَ ، وأصْحابِ التَّفْكيرِ والمعْرفَةِ ، وأهْلِ البَصيرةِ ، والرَّأْى السَّليمِ .

وكانَ قَبلَ أنْ يلْقَى رَسُول الله ﷺ ، وقَبلَ أنْ يَعْتنقَ دِينَ الإسْلامِ ، كانَ قَبْلَ هٰذا يتَّجهُ إلَى خَالقِه ، وخَالقِ السَّموات والأرْضِ ، يتَّجِهُ إليهِ بقَلْبِهِ ، وبفِطْرتِه ، وبطَبيعَتِهِ ، حتَّى لَقَد قالَ لابْنِ أخيهِ :
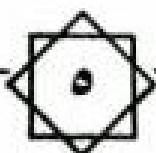
– لَقَد صلَّيتُ قَبلَ أنْ ألْقَى رسُولَ الله ﷺ بثَلاثِ سِنينَ ، فقَال لهُ ابنُ أخِيهِ :

– صَلَّيتَ لمَنْ ؟

فقَالَ أبُو ذرٍّ :

– لله ، الَّذى خَلقَ كُلَّ شىءٍ .

فقَالَ ابْنُ أخيهِ :

- فأينَ كُنتَ تَتَوَجَّهُ ؟
قالَ أبو ذرٍّ :
- حَيثُ وجَّهنِى الله عزَّ وجَلَّ .

* * *

نَزَل بقَبيلةِ (غِفارٍ) جَدْبٌ وقَحطٌ ، واحتَبس عَنْهمُ المطَرُ ، وجَفَّ الزَّرعُ وهُزِلَت الأبِلُ ، وصَارُوا فى ضِيقٍ شَديدٍ فاعْتَزمَ القَومَ أنْ يَرحَلُوا إلَى الكَعْبةِ ، حَيثُ نُصبَتْ هُناكَ الأصْنامُ يَدْعُونَ هُناكَ عِندَ الصَّنَم (مَناة) فَهُو إلَهُ المطَرِ على حَدِّ تَصوُّرِهم وتَفْكِيرِهمْ .

شَدَّ القَومُ جَميعًا رِحالَهمْ إلاَّ جُنْدب ، فَلمْ يَستَمعْ لِنداءِ القَومِ ، ولَمْ يتهيَّأْ للرِّحْلةِ ، كَما تهيَّئُوا ، ولَمْ يَستَعدَّ كَما استَعدُّوا ، بلْ ظَلَّ فى دَارِهِ مُقيمًا ، لَم يخرُجْ إليهِمْ ، ولَم يَنْضَمَّ إلَى رِكابهِمْ ، لأنَّه كانَ يعْتَقدُ أنَّ مَناةَ ليْستْ لَهُ فائِدةٌ ، ولا يُغْنى فى نُزولِ المطَرِ ، أوَ مجىءِ الرَّخاءِ .

إلاَّ أنَّ أخَاهُ (أنيس) دَخَل إليهِ ، وأنْكَر عَليهِ تَكاسُلَه ، وتَقاعُدهُ ، وقالَ لَه :

يَاأبا ذرٍّ : لابُدَّ أنْ نَخْرجَ جَميعًا مَع القَومِ ، وإلاَّ كانُوا حَرْبًا عَلينَا ، وشَرًّا دائمًا يُحيطُ بنَا .

فَقامَ أَبو ذرٍّ ، وَخرجَ معَ القَومِ ، وَهُو مُوقِنٌ أَنهمْ عَلى ضَلالٍ ، وأَنَّ رِحْلَتهُم إلَى مَناة لَنْ تجرَّ عَليهِم نَفْعًا .

❋ ❋ ❋

حَطَّ القَومُ جَميعًا رحالَهُم عِنْدَ مناةَ ، في مَكَّةَ ، واستَمرُّوا في الصَّلاةِ لإلَهِهِم الصَّنَم ، ومَعْبودِهم الحَجَر ، وَهو - طَبْعًا - لا يَسمعُ ، وَلا يُبْصرُ ، استَمرُّوا عَلى ذَلِكَ أَيامًا وَلَيالى .

❋ ❋ ❋

وَفى لَيلة نامَ القَومُ جَميعًا ، وَغرقُوا فى نَومٍ عَميقٍ إلاَّ أَبا ذَرٍّ ، فإنَّه ضَمَّ يَدَيْهِ إلَى صَدْره ، وثَبَّتَ عَينَيه فى السَّماءِ ، واتَّجهَ إلَى خَالقِ الكَوْن ، رَبِّ العَالَمينَ ، وَبَعْد أَنْ هَدأَتْ نَفسُه ، وَاستَقرَّ رَأْيُهُ عَلى الخُشوعِ لخالِقِهِ الحَقِّ ، دَعتهُ نَفسُه إلَى التَّفْكيرِ فى أَمْرِ القَومِ وَأَمْرِ إلهِهِمْ ، فَقامَ مِنْ مَكانِه فى خِفَّةٍ ، وَمشَى نَحْو تمثالِ مناة وَتَطلَّع إليهِ فَوجَدهُ ساكنًا ، لاَ يَحسُّ ، وَلا يَسمعُ ، وَلا يَرَى ، فَتناوَلَ حَجَرًا ، ورَماهُ بِهِ ، فَلَم يُحرِّك ذَلكَ فِيهِ شَيئًا ، فَقالَ لَه :

- إنَّكَ عَاجزٌ لا قَادرٌ ، مخْلوقٌ لا خَالقٌ ، لا حَوْل لَكَ ، وَلا قُوَّةَ ، فَعلامَ تُعْبدُ ؟ إنَّ قَومِى فى ضَلالٍ مُبينٍ .

وَعادَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى مَضْجعِهِ هَادِئَ النَّفسِ ، مُطْمئِنَّ البَالِ ، ثمَّ راحَ في سُباتٍ عَميقٍ .

* * *

أَصْبَحَ الصَّباحُ ، وَنادَى مُنادِي القَوْمِ أنْ يذْهَبوا إلَى مَناةَ يُصلُّون أَمامهُ فَقامُوا فَصلُّوا ، وَدَعَوْا ، وَطَلَبُوا المطَرَ وَالرَّخاءَ .

ثمَّ اتَّجهُوا إلَى دِيارِهم عَائدين إلَى مَنازِلهِمْ ، وبَعْدَ انْتهاءِ رحْلَتِهِم حَطُّوا مَتاعَهمْ ، وَدخَلَ عَلَيْهِم اللَّيلُ ، فَسكَنَ الحيُّ ، ونامَ النَّاسُ جَميعًا إلاَّ أبَا ذَرٍّ ، فإنَّه جَعلَ يطْلبُ النَّوْمَ فلا يَسْتجيبُ لهُ .

أخذَ يُفكرُ فِيمَن رَفَعَ السَّماءَ ، وبَسطَ الأرْضَ ؟ ومَن الَّذى أرْسَى هَذِهِ الجبالَ الضَّخْمةَ ؟ ومَنْ أوْقدَ شَمسَ النَّهارِ المتوهِّجةَ ؟ ومَن الَّذِى خَلقَهُ وجَعلَ له عَيْنَيْنِ ولسَانًا وشَفتَين ؟ وجَعلَ له تَفْكيرًا يَهْدِيهِ ، ونَفْسًا تذْهَب بِهِ إمَّا إلَى الخيْرِ ، وإمَّا إلَى الشرِّ ؟

لَم يَهْدأ أَبو ذَرٍّ عَنِ التَّفْكيرِ فى الخالِقِ العَظيمِ ، ربِّ السَّمواتِ والأرْضِ ، رَبِّ العَرْشِ العَظيمِ .

* * *

نُـورٌ فـى مَكَّـة

وذات يَومٍ جَلسَ أُبو ذرٍّ مَعَ أَخِيهِ أنيس فى دَارِهمَا ، وأقْبَل عليهما رجلٌ ، سَلَّم عَليْهمَا ، وجَلسَ مَعهُما .

فَسألهُ أبُو ذَرٍّ :

– مِنْ أينَ الرَّجلُ الكَريمُ ؟

فَقالَ :

– مِنْ مَكَّة ، أرْضِ الحَرَمِ .

فقَالَ أبُو ذرٍّ :

– وماذَا فِي مَكَّةَ مِنْ أمورٍ ، تَشْغل النَّاسَ ؟

فَقالَ الرَّجلُ :

– ظَهَر بِهَا رَجلٌ يدَّعى أنّه نَبِيٌّ ، يَدْعُو النَّاسَ إلَى تَركِ الآلِهَةِ ، واحْتِقَارِ الأصْنامِ ، ويدْعَو إلَى عِبادَة إلَهٍ واحدٍ ، يقُولُ إنَّه خَالقُ السَّمواتِ والأَرْضِ ! !

فَقالَ أبُو ذرٍّ :

– وبِماذَا أجَابهُ النَّاسُ ؟

فَقالَ الرَّجلُ :

- لَقَدْ سَخِرُوا مِنهُ ، وآذَوْهُ ، ومَنعُوا النَّاسَ عَنهُ ، وكَيفَ يستَمعونَ إلَى رجُلٍ يَعيبُ آلهتَهُم ، ويَهزأُ بِعبادَتِهِم ، ويُنْكرُ ما كانَ عليهِ آباؤُهم ؟

إنَّه قَدْ جَعَلَ الآلِهَةَ إلَهًا واحِدًا .

فأطْرقَ أبو ذرٍّ يُفكِّرُ ، ويتأمَّلُ هٰذا الخبَرَ الحَبيبَ إلَى نَفْسِه ، القَريب إلَى تَفْكيرِه ، وظلَّ صَامتًا ، يُفكِّر ، ويُفكِّرُ .

ولمَّا رآه الرَّجلُ شَارِدًا تَرَكَه وانْصَرف .

* * *

نَادَى أبو ذَرٍّ أخاهُ أُنيسًا وقالَ لهُ :

- اذهَب إلَى مَكَّة ، فتَعرَّف عَلى خبَر هٰذا الرَّجلِ الَّذِى يزْعُم أنهُ نبى يأتيهِ الخَبرُ مِنَ السَّماءِ ، ثمَّ ائْتِنى بخَبرِه .

تَجهَّزَ أُنيسٌ للرِّحلةِ ، وسَارَ يَضْربُ فى الأرضِ حتَّى بَلغَ مَكَّة فاتَّجهَ نَحْو الكَعبَةِ ، وطَافَ بِهَا عَلى عَادةِ قَومِه فى الجاهِليَّةِ .

ثمَّ نَظَر فَوجَد جَماعةً كَبيرَةً مِنَ النَّاسِ ، تلْتفُّ حَولَ رَجلٍ يعِظهمْ ، ويُعرِّفهُم ، ووجَدَ أعْرابيًّا آتيًا مِنْ عِندِهم ، فَسألهُ :

- ما هٰذا الجمعُ الكَبيرُ حَولَ هٰذا الرَّجلِ ؟

فَقال الأعْرابِىُّ :

– الصَّابِئُ ، يدْعُو النَّاس إلَى دِينِه الجَديدِ ! !

فأسْرعَ أُنيسٌ نَحْوَ الجمعِ المحتَشِدِ ، فوَجَد رَجُلا يقُولُ :

– الحمدُ لله ، أَحْمَدُه ، وأَسْتَعِينُه ، وأُومِنُ بهِ ، وأتَوَكَّلُ عَليهِ ، وأشْهَد أَنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وَحْدهُ لا شَرِيكَ لهُ .

ثمَّ أخَذَ النَّاسُ ينْفضُّون واحِدًا بَعدَ وَاحدٍ ، يقُولُ أحدُهُم : إنَّهُ كاهِنٌ ، ويقُولُ الآخَرُ : إنَّهُ شاعِرٌ ، ويقُولُ ثالثٌ : إنَّهُ ساحِرٌ .

سَمِعَ أُنيسٌ قَولَ الرَّسُولِ الكَريمِ ، ورَأى فِيه صِدْقًا وحَقًّا ، فَقالَ :

– والله إنَّ لِقَولِهِ لحلاوَةٌ ، وإنَّهُ لصَادِقٌ ، وهُمُ الكاذِبُونَ .

ثمَّ رَكِبَ راحِلتَهُ ورَجَعَ إلَى قومِه ، عَادَ ليَلْقَى أبا ذَرٍّ أخَاهُ فى غِفارٍ .

* * *

قالَ أبو ذرٍّ لأخِيهِ :

– ما عِندكَ ياأُنيسُ ؟

فَقالَ أُنيسٌ :

- واللهِ رَأيتُ رَجُلا يأْمُر بالخيْرِ ، وينْهَى عَنِ الشرِّ . فقالَ لهُ أخُوهُ أبا ذَرٍّ :

- لَمْ تأتِ لى بخَبرٍ شَافٍ ، أمَّا تَذكُرُ شيْئًا ممَّا يقُولُ ؟

قالَ أُنيسٌ :

- إنَّهُ يدْعُو إلَى عِبادَةِ إلهٍ واحِدٍ .

ما سَمِعَ أبُو ذَرٍّ هٰذا حتَّى قالَ لأخِيهِ :

- اخْلُفْنى فى أهْلى وأنَا سائرٌ إلَى مَكانِ هَذا النَّبىِّ .

فقالَ له أخُوهُ :

- احْذَر أهْلَ هَذا النَّبىِّ ، فإنَّهُم أعْداءٌ لهُ ، يُعادُونَ مَنْ يُصدِّقهُ .

أخذَ أبُو ذرٍّ حقيبةً ، فِيهَا طَعامٌ ، وحَملَ عَصاهُ ، ورَحَلَ إلَى مَكَّةَ ولمَّا نَزلَ بَها لَم يَسْأل عَنْ مُحمدٍ ؛ مخافَةَ أنْ يصْطدمَ بأحَد مِنْ أعْدائِهِ ، ولٰكنَّه مَكثَ فى المسْجِد حتَّى غَابتِ الشَّمسُ ، وأقبلَ اللَّيلُ فى سَواده الكَثيفِ ، ونامَ أكثَر أهْلِ مَكَّةَ إلاَّ قَليلاً مِنْهمْ ، كانُوا يطُوفُون بالكَعْبة وجَاءَ علَىُّ بنُ أبى طَالبٍ ، ليطُوفَ بالبَيْت ، فَمرَّ بأبى ذرٍّ ، فَنَظر إلَيهِ ، ثمَّ قالَ لَهُ :

- كأنَّ الرَّجلَ غَريبٌ .

فَقَالَ أبُو ذَرٍّ :

- نَعَم .

فَقَالَ علىٌّ :

- انْطلِقْ مَعى إلَى المنْزلِ .

فانْطَلَقَ أبُو ذَرٍّ معَهُ ، لا يَسْألُ عَن شَىء ، خَشْيَةَ أنْ يَكونَ مِنْ أعْداءِ النَّبىِّ .

ونامَ أبُو ذَرٍّ هٰذهِ اللَّيلةَ فى مَنْزلِ عَلىٍّ ، وقَضَى لهُ حقَّ الضِّيافةِ .

ولمَّا جاءَ الصَّباحُ ذَهَب أبُو ذَرٍّ إلَى المسْجِدِ ، ليتَعرَّفَ فى حَذرٍ عَلى الرَّسولِ الكَريمِ ، وهُوَ لايُريدُ أنْ يَسْأل أحَدًا ، ولا يُريدُ أن يَدُلَّه أحَدٌ عَليهِ .

ومَكثَ مُعْظم نَهارِه حتَّى جَاءَ اللَّيلُ ، فمَرَّ عَليهِ عَلىٌّ ابنُ أبى طَالبٍ . فقَالَ لهُ :

- ألمَ تَعْرفْ لكَ مَنْزلا للآنَ ؟

فَقَالَ أبُو ذَرٍّ :

- لاَ .

فَقَالَ علىٌّ رَضِىَ اللهُ عَنهُ :

– انْطَلِقْ مَعى .

فانْطَلَقَ مَعهُ أبو ذرٍّ . فَقالَ لهُ علىٌّ :

– ما أمْرُكَ ؟ ومَا أقْدمَكَ إلى هٰذهِ البَلْدة ؟

فَقالَ أبُو ذَرٍّ :

– هَلْ تَكتُم أمْرِى إنْ أَخْبرْتُكَ ؟

فَقالَ لهُ علىٌّ :

سَأفعلُ إنْ شاءَ الله ، واصْدُقْنى الحديثَ .

فَقالَ أبُو ذرٍّ :

– بلَغَنا أنَّه خَرجَ هُنا رَجُلٌ يَزْعُم أنَّهُ نبىٌّ ، فأرْسَلتُ أخى ؛ ليَأتينى بأخْبارِهِ ، وليُكلِّمهُ ، ويَعْرفَ أمْرهُ ، فَرجَع إلىَّ ، ولَم يَحْمل لى خَبرًا شَافيًا ، فَجئْتُ إلَى هُنا ، لألْقاهُ . فَقالَ لهُ علىٌّ كَرَّم الله وجْهَه :

– لَقَد اهْتَديتَ إلَى الطَّريقِ ، وأَرْشَدَكَ إيمانُكَ للحَقِّ ، هٰذا طَريقى ، فاتَّبِعْنى ، ادْخُلْ مِنْ حَيْثُ أدْخُلُ فإنِّى إنْ رَأيتُ أحدًا أَخَافُه عَليكَ جَهدتُ فى مَنْع الأذَى عَنكَ .

فَمضَى مَعهُ أَبُو ذَرٍّ ، وهُو يَحسُّ بالسُّرورِ يَشيعُ فى نَفْسه فَقَد هَداهُ حَظُّه السَّعيدُ إلَى أقْربِ المقرَّبينَ إلَى نَبىِّ الله العَظيمِ .

كَمَا شاءَ اللهُ لَهُ أَنْ يَكونَ مِنَ السَّابقِينَ إِلَى الإِسْلامِ ، الدَّاخلينَ فى زُمْرَةِ الحقِّ ، زُمْرَةِ المسْلمِينَ .

* * *

ودخَلَ عَلىٌّ بنُ أبى طَالبٍ إِلَى النَّبىِّ ﷺ ، ودخَلَ مَعهُ أبو ذرٍّ .

فَقالَ :

– السَّلامُ عَليكُم .

فَقالَ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ :

– وعَلَيْكُم السَّلامُ ، ورَحْمةُ الله وبَركاتُه . مَنْ أنْتَ ؟

فَقالَ أبُو ذَرٍّ :

– مِنْ غِفار ، اعْرِضْ عَلىَّ الإِسْلامَ .

فَقالَ رسُولُ الله ﷺ :

– الإِسْلامُ أَنْ تَشْهد أنْ لاَ إِلَه إلاَّ الله ، وأَنَّ مُحمدًا رسُولُ الله ، ثمَّ قَال لَه الرَّسولُ عَليهِ السَّلامُ :

– ياأبا ذَرٍّ ، اكتُمْ هٰذا الأمْرَ ، وارْجعْ إلَى بَلدِكَ فإِذَا بَلغكَ ظُهورنا فَأقْبلْ .

قالَ الرَّسولُ الكَرِيمُ ذَلِكَ لأَبِي ذَرٍّ خوفًا عَليهِ مِنْ أذَى الكُفَّار وهُو رجُلٌ غَرِيبٌ لاحَامِيَ لهُ ولا نَصِيرَ .

ولكنَّ أبا ذَرٍّ – رَضِيَ الله عَنهُ – قالَ :
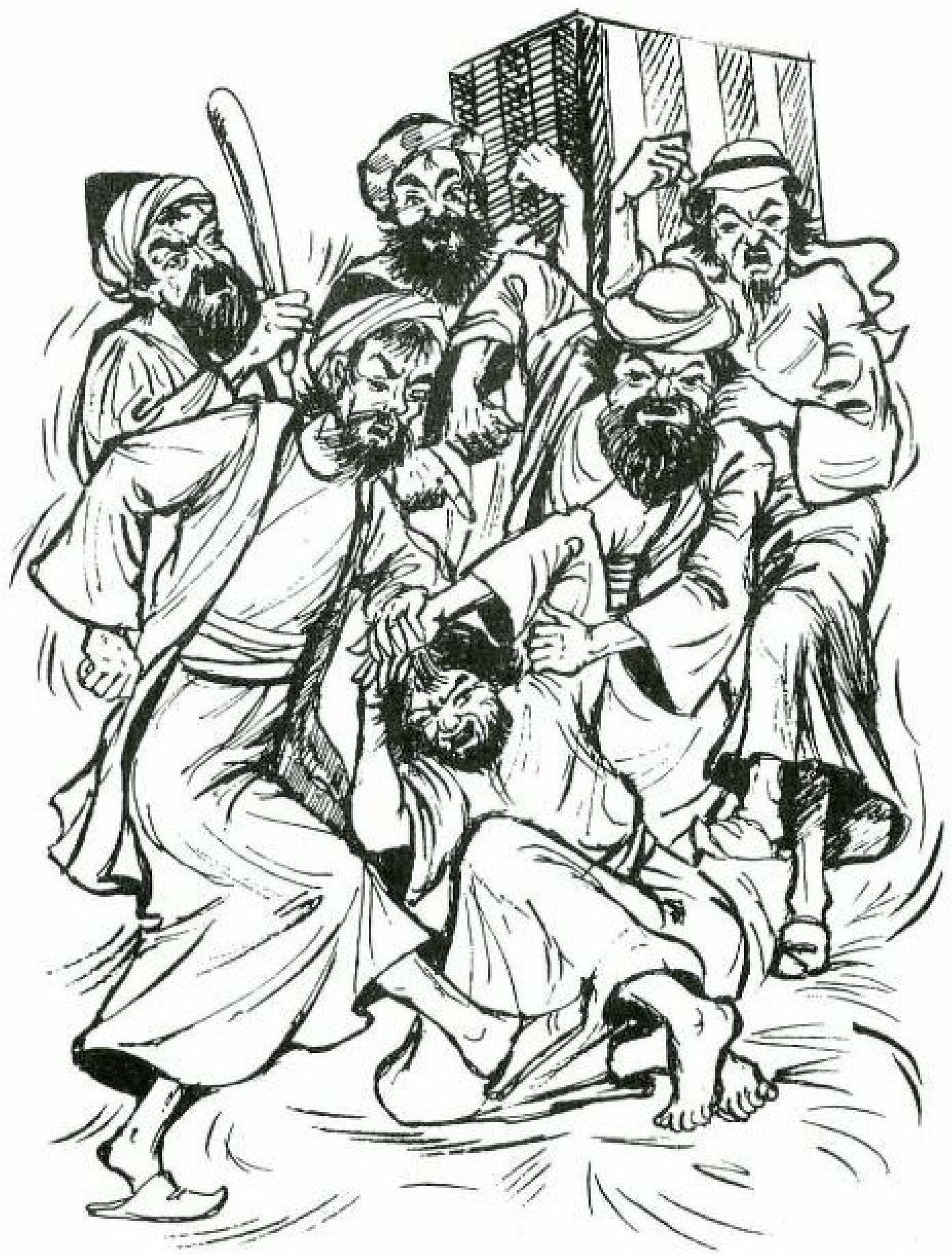
– وَالذِى بَعثَكَ بالحَقِّ لأَصْرخَنَّ بهَا بيْنَ أظْهُرِهم ، ثمَّ خَرجَ أبو ذَرٍّ إِلَى المسْجِد ، والإيمَانُ يملأُ نَفْسهُ ويُعِزُّ أمْرَهُ ، ويَبْعثُ الثِّقةَ بَينَ جوَانِبِه ، فلمَّا وَصَلَ إِلَى المسْجِدِ صَرخَ صَرْخةَ الحَقِّ ، وقالَ :

– يامَعْشَرَ قُريشٍ ، إنِّى أشْهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ الله ، وأشْهدُ أنَّ مُحمدًا عَبدُه ورَسُوله .

ما إن سَمِعَ أَهْلُ مَكَّة المجتَمعُونَ فى المسْجِد هٰذا القَولَ الصَّرِيحَ مِنْ أبِى ذَرٍّ ، حتَّى أسرَعُوا إِلَيهِ ، يضْرِبُونهُ ويضْرِبُونهُ حتَّى أوْشكَ عَلَى المَوْتِ .

ولَم يُنجِّه إلاَّ أنْ أبْصَره العَبَّاسُ عمُّ النَّبىِّ – عَليهِ السَّلامُ – فأسْرعَ إليهِ ، ورَقَى بنَفْسِه فَوقهُ ؛ ليَمنعَ عَنهُ الأذَى ، وصَرخَ فى بَنِى قُريشٍ :

– كَيفَ تقْتُلونَ رَجلاً مِنْ غِفَارٍ ، وأنْتُم تَمُرُّونَ بِتجارتِكُم رَائحِينَ غَادِينَ عَليهِمْ ؟

فامْتنع القَومُ عَنهُ ، تَحتَ حِمايةِ العبَّاسِ – رَضِيَ الله عَنهُ – ولمَّا قامَ أَبو ذرٍّ جَرَى نَحْو بئْرِ زَمْزمَ فَشرِبَ وتَطهَّر وغَسلَ عنه الدَّمَ ، وخَرَجَ مِنَ الكَعبة ، وذَهبَ إلَى رسُولِ الله عَليه الصَّلاةُ والسَّلامُ . فوجَد عِندهُ أبَا بَكرٍ الصِّدِّيقَ ، فلمَّا عَرفَ شأنهُ ..

قالَ لهُ :

– متَى أتيتَ هَاهنَا يا أبَا ذرٍّ ؟

فَقال أَبو ذرٍّ :

– أنَا هُنا مُنْذُ ثَلاثة أيّامٍ .

فأخذَهُ أبو بَكرٍ إلى مَنْزله ، وأَطْعمَهُ وأكْرَمهُ .

ثمَّ أعدَّ أَبو ذرٍّ نَفسَه ، ليعُودَ إلَى أهْله غِفَار ، والإيمانُ يملأُ قَلْبهُ ، ونفْسُه رَاضيةٌ مُطْمئنةٌ إلَى الدِّينِ الجَديدِ ، دِينِ العقْلِ والحقِّ لادينِ السَّفَه والحمْقِ والضَّلالِ .

ولمَّا نَزلَ فى غفَارٍ أسْرعَ إلَى أخيهِ (أُنيس) وإلى أُمِّهِ رَمْلة . قابلهُ أنيسٌ فَقال لهُ :

– ما صَنَعْتَ ؟

فقالَ أَبو ذرٍّ :

أسْلَمْتُ وصَدَّقْتُ .. إنَه – يا أُنيسُ – دِينُ الحقِّ ، وَإنِّى أدْعوك إلَيهِ .

وَأخذَ أبو ذرٍّ يَقصُّ عَلَى أخيه (أُنيس) أخْبارَ رِحْلتهِ مُنْذُ أنْ غادَرَ مَنْزِلَهُ حتَّى رَجَعَ إلَى أهْلِه .

أخْبرهُ بضِيافَة عَلىٍّ ، وَضِيافَة أبي بَكْر ، وَأخْبرهُ بلقَائِه للنَّبىِّ الكَريمِ صَلواتُ الله عَليهِ ، وَماشَاهَدهُ مِن صِدْق حَديثِه وَسموِّ عَقْله وَحُسْن خُلُقه وَطيبِ عشرته ، وقالَ لهُ :

– ياأُنيسُ ؛ لَقَد هَدانا الله بهِ ، وأرْشَدنا إلَى دِينِ الحقِّ وَالعَقْل بَدلَ أنْ كُنَّا نعبدُ الحجَرَ ، والأصْنامَ التى لا تَنفعُ ولا تَضرُّ .

أفلا تُؤمِنُ كَما آمَنتُ ياأنيسُ ؟

قال أُنيسٌ :

– أشَهدُ أنْ لا إلَه إلاَّ الله . وأنَّ مُحمدًا رسُولُ الله .

فَسرَّ بذلكَ أبو ذرٍّ سُرورًا عَظيمًا .

ثمَّ ذَهَبا إلَى أمِّهِما (رَمْلَة بنتِ رَبيعَة) .

فلمَّا رَأتْ أبا ذَرٍّ قَالتْ لَهُ :

– ما رَأيتَ فى مَكَّةَ ياأبا ذَرٍّ ؟

فقَالَ :

– رَأيتُ رَجُلا أفْضَل قَومِه مُروءةً ، وَأحْسَنَهم خُلقًا ،

وأكْرَمهُم مُخالطَةً ، وَأعْظَمهُم حِلْمًا وأمَانةً ، وأصْدقَهمْ حدَيثًا ، وَأبْعدَهم مِنَ الفُحْشِ والأذَى .

سَماهُ قَومُه الأمين ، يدْعُو إلَى الله بالحسْنَى ، وينْهَى عَنِ الفَحْشاءِ والمنْكر .

فَشهدتُ أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ الله ، وأنَّ مُحمدًا عَبدهُ وَرسُولُه .

* * *

وَاسْتمرَّ أبو ذرٍّ فى قَومِه يدْعُوهم إلَى الإسْلام ، ثمَّ إلَى نُصْرةِ النَّبىِّ عَليهِ السَّلامُ بعدَ الهِجْرة ، وَاستَمرَّ فى صُحْبته إلَى أن تُوفِّى صَلواتُ الله عَليهِ ، وحَضَر خِلافَة أبِى بَكْرٍ وعُثْمان إلى أنْ تُوفِّى رِضْوان الله عَليه سَنَة ٣٢هـ .

* * *

لَقد وقف أبو ذرٍّ (وهو كَما وصفهُ النبىُّ العظيمُ ﷺ «أصْدق العَالمينَ لهجةً») يُسائل مُعاوية فى غير خوفٍ عَنْ ثَرواتِه قبْل أن يُصْبح حاكمًا ، وعن ثرْوته الْيوم .. سَألَه عَنْ بيته فى مكَّة ، وعن قصره فى الشَّام ، بل قصوره المختلفة ، ويسأل الصَّحابة الَّذين صَحبوهُ إلى الشَّام وصار لهُم قصُورٌ ، ثم يصيح فيهم

قائلاً : أنتم الذين نزل فيكم القرآن ، وشهِدْتُمْ مع الرسُول العظيم المشاهد ، ثم يُجيبُ عنهم :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾